

سورة الزمر



النَّزْولُ: مَكِيَّةٌ.

المَقَاصِدُ:

- ١ - تقرير الرسالة النبوية.
- ٢ - تقرير وحدانية الله تعالى بالبراهين الكونية.
- ٣ - تقرير البعث والحساب بالجنة أو النار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي
 أُمُّ الْكِتَابِ لَدِينِنَا لَعَلَّهُ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضَرَبُ عَنْكُمُ الْذِكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا
 مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكُمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْنِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهِزُونَ ﴿٧﴾ فَاهْلَكَنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَصْنَى مَثْلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْنَاهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ حَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا
 وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُقَدِّرُ فَآدَشَنَا
 بِهِ بَلَدَةً مَيَّتًا كَذَلِكَ تُخْرِجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ كَلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلَكِ
 وَالْأَنْعَمِ مَا تَرْكُبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا بِعِظَمَةِ رَبِّكُمْ إِذَا أَسْتَوْيْتُمْ عَلَيْهِ وَنَقُولُوا
 سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِّبُونَ ﴿١٤﴾

التفسير:

١ - تَقدَّمَ في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة، وأنَّ من الحكمة في إبرادها بيان إعجاز القرآن.

٢ - قسماً بالقرآن المبين بأحكامه وهديه للعباد، إنَّا - لما لنا من العظمة الكاملة والقدرة الشاملة - جعلناه قرآنًا عربيًّا فصيحاً؛ لكي تفهموا معانيه، وتتدبروا مراميه، وإنَّه في اللوح المحفوظ لدينا لعلَّي في شرفه ومقامه، حكيم في حكمه وأحكامه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، فأمرَه أن يكتب

ما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ: ﴿وَلَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَبِ لَدَنَا لَعَلَّهُ حَكِيمٌ﴾.

(أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه، السنة ٤١٠ / ٢ برقم ٨٩٨، وأخرجه الطبراني (التفسير ٤٨ / ٢٥) من طريق ابن علية عن الدستوائي به. وإسناده صحيح. (انظر: مرويات أحمد في التفسير ٨١ / ٤ برقم ١٤٩).

٥ - يُنكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْكُفَّارِ، وَيُؤْبِخُهُمْ: أَنْتُرَكُ تذكِيرَكُمْ لِأَجْلِ إعْرَاضِكُمْ، وَمَعْصِيتِكُمْ وَإِسْرَافِكُمْ فِي تَكْذِيبِكُمْ؟

٦ - ١٠ - ما أكثر إرسالنا الأنبياء في الأمم السابقة! وما يأتي تلك الأمم مننبيٍ إلا كانوا به يسخرون، فدمَرُّنا مَنْ هُمْ أَشَدُّ قوَّةً من قومك أيُّها الرسول، ومضى ذكر أخبار السابقين ودمارهم. وقسمًا إن سألتهم مَنْ خلق السموات السبع والأرضين السبع؟ ليقولُنَّ: خلقهنَّ العزيز في ملکوته، العليم بمخلوقاته. الذي جعل لكم - أيُّها الناس - الأرض فِرَاشًا، وجعل لكم فيها طُرُقًا؛ لكي تهتدوا إلى مطلوبكم وغايتكم.

١٤ - ١١ - وهو الله سبحانه الذي نَزَّل من السحاب مطراً بقدر الحاجة، فأحيينا به بلدة لا نبات فيها. مثل ذلك الإخراج تَخْرُجُونَ من قبوركم بعد موتكم، والذي خلق الأصناف من المخلوقات كُلُّها، وسَخَّر لكم ما تركبون في البحر والبر من السفن والإبل والخييل؛ لتسقُرُوا على ظهورها، وتقولوا: سبحان الله الذي ذَلَّلَ لنا هذا المركب، وما كُنَّا له مطيقين. وإنَّا إلى ربِّنا بعد مماتنا راجعون للحساب.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى السفر، كَبَرَ ثلاثاً ثم قال: «سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿وَلَنَا إِلَى رَبِّنَا لَمْنَاقِبُونَ﴾ اللهم إِنَّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى». (صحيف مسلم - كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره برقم ١٣٤٢).

الفوائد والاستنباطات:

١ - كون القرآن باللغة العربية مُنْقَبَةً كبرى للعرب؛ لأنَّ القرآن العظيم نزل بلغتهم؛ لقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

٢ - مِنْهُ اللَّهُ عَلَى الْعَرَبِ، فَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًاً وَاحِدًاً وَبِلْغَتِهِمْ، هُدَايَةً لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٣ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَيُؤْكِدُ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَأَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

٤ - تقرير نعم الله تعالى على خلقه بما جعل لهم من الطرق في هذه الأرض على تباعده أقطارها بالشّعاب والجبال والنجوم.

٥ - في الآية (١٠) إخبار مستقبلي عن سبب جَعْلِ الله الأرض لعباده فراشاً وبساطاً، وسَهَّلَ لَهُمْ فِيهَا طُرُقاً لِمَعَاشِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ؛ وَذَلِكَ كَيْ يَهْتَدُوا بِتَلْكَ السُّبُّلِ إِلَى مَصَالِحِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

٦ - رحمة الله تعالى بإنزال المطر من فوق؛ لأنَّه لو كان من أسفل لغرقت الأرض السُّفلى دون أن يصل الماء إلى قمم الجبال، ولكنَّ الله تعالى جعله ينزل من فوق حتى يروي العالى والنازل.

٧ - قياس المعقول على المحسوس، وإن شئت فقل: قياس الغائب على الحاضر؛ لقوله: ﴿كَذَلِكَ تُخَرِّجُونَ﴾.

٨ - نعمة الله تعالى على عباده، إذ جعل لهم من الأنعام والفالك ما يركبونه.

٩ - استحباب هذا الذكر عند الرُّكوب، وهو: ﴿سُبْحَانَ اللَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كَنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [١٣] وَإِنَّا إِلَيْهِ بَرِّيَّا لِمُنْقَلِبِهِنَّ.

١٠ - في الآية (١٣) إخبار مستقبلي عن الحكمة مِنْ جَعْلِ الله السُّفُنَ في البحر، والبهائم في البر، مراكب لعباده؛ وَذَلِكَ لِكَيْ يَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهَا، ثُمَّ يَتَذَكَّرُوا نعمة ربِّهم إِذَا رَكَبُوا عَلَيْهَا، وَيَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُطِيقِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا بَعْدَ مَمَاتِنَا لَصَائِرُونَ، وَإِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

١١ - إِنَّمَا في تقرير الله تعالى لهذه النعم على عباده دعوة لهم للاعتراف بفضله وشكريه عليها بالإيمان به وعبادته وحده دون شريك وطاعته والانقياد لأمره وشرعه.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُرْئًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكُفُورٌ مُّمِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ أَتَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَنُكُمْ بِالْبَيْنَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِرَحْمَنِ مَثَلًا طَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ
كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَنْ يُنَشِّئُ فِي الْحَلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخَصَامِ غَيْرُ مُمِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ
هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ أَشَهِدُوا حَلْقَهُمْ سُتُّكَبْ شَهَدَتْهُمْ وَيُسَعِّونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ
الرَّحْمَنُ مَا عَبَدَنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّنْ قَبْلِهِ
فَهُمْ بِهِ مُسْتَسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ مُّهَدِّدونَ ﴿٢٢﴾

التفسير:

١٥ - وجعل هؤلاء المشركون الله ولداً بِهِ عَمَّا يقولون عُلُوًّا كبيراً. إنَّ الإنسان مبالغٌ في الكفر، مُعلِّنٌ له.

١٦ - يُنكر الله على المشركين: هل اتخذ الله لنفسه البنات، وخصكم بالبنين؟

١٧ - ١٩ - وإذا بُشِّرَ أَحَدُ المشركين بولادة بنتٍ له، صار وجهه مُسْوَدًا من الكآبة والحزن! أيجعلون الله ولداً من شأنه النشأة في الزينة، وهو في الجدال عاجز لقصور بيانيه؟ وجعل هؤلاء المشركون الملائكة الذين هم يعبدون الرحمن إناثاً! هل حَضَرُوا عند خَلْقِهِمْ حتى يحكموا بأنَّهم إناث؟ سُتُّكَبْ مقالتهم المزعومة، ويعاقبون عليها في الآخرة.

٢٠ - ٢٢ - وافتروا أيضاً بقولهم: لو شاء الله الرحمن ألا نعبد هؤلاء الشركاء ما عبدهم. ليس لهم دليل على ما يدّعون، وما هم إلا يكذبون. هل أنزلنا على هؤلاء المشركين كتاباً من قبل القرآن، فهم ملتزمون بالعمل بما فيه؟ فلم يأتوا بحُجَّةٍ على ما يزعمون، بل اعترفوا بأنَّهم مُقلّدون لدين آبائهم وكفرهم، وأنَّهم سائرون على منهج آبائهم في الكفر.

الفوائد والاستنباطات:

١ - الإنكار على هؤلاء الذين جعلوا الله ولداً؛ لقوله: **﴿أَمْ أَتَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾**.

- ٢ - التنديد التام بهؤلاء؛ حيث إنهم إذا بُشّروا بالأنى صارت لهم هذه الحال، وهم يَدْعُونها للخالق عَزَّلَهُ.
- ٣ - ضعف المرأة في الخصم، بكونها لا تُبَيِّن ما في قلبها من الحجّة.
- ٤ - تهديد أولئك المفترين بأنّ شهادتهم ستُكتب، ويعاقبون عليها.

﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ إَاثِرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ إَاءَبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقْبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِنَّرَهِمْ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَأُ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينَ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيةً فِي عَقِيمِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

التفسير:

٢٣ - وكما تبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجّة، كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المكذبة، بما بَعَثْنَا قبلك - أيها الرسول - من نذير إلا قال أهل البطر والترف: إننا وجدنا آباءنا على دين، وإننا على طريقتهم سائرون متّبعون.

٢٤ - يُخبر الله تعالى أنَّ النبي محمداً ﷺ ومن قبله من الرسل قد أنكروا على الكفار تقليد آباءهم في الكفر، وقد جاءهم المرسلون بالهدایة من عند الله، ولكن الكفار أصروا على غوايتهم، فقالوا: إننا بما جئتم به من الرسالة جاحدون، فأهلكناهم. فانظر - أيها الرسول - كيف كان مصير المكذّبين بالله ورسله؟

٢٥ - واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم ﷺ لأبيه (آزر) وقومه: إنني بريء من هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها من دون الله، لكن ربّي الذي خلقني هو الذي أعبده، ويهديني إلى طريق الحق. وجعل إبراهيم ﷺ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقيةً في ذريته من بعده، ووضّاها بها؛ لكي يرجعوا إلى طاعة ربّهم، وتوحيده.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تسلية النبي ﷺ بأنَّ هذا الذي قيل له قد قيل لِمَنْ قبله من الرسل، كقوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِرَسُولٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣].
- ٢ - اتفاق أهل الباطل على هدف واحد، ألا وهو تكذيب الرُّسل.
- ٣ - إنَّ هؤلاء القوم المكذبين للرسل ليس لديهم حُجَّةٌ إِلَّا اتّباع آباءِهم.
- ٤ - بيان معالجة الرُّسل عليهم الصلاة والسلام للمكذبين، فهم يأتون بالحجج المقنعة، ولكن الكافرين يعandون.
- ٥ - عاقبة المكذبين الهايكل والدمار.
- ٦ - تحذير هذه الأُمَّة من تكذيب رسولها أن يصيّبهم ما أصاب غيرهم.
- ٧ - قوَّة رجاء إبراهيم بالله ﷺ؛ لقوله: ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينَ﴾، والسين هذه تدلُّ على التَّحقيق.
- ٨ - تمام نصيحة إبراهيم ﷺ لعقيه، إذ جعل كلمة التوحيد باقية فيهم، وهذا بمنزلة الوصيَّة للعقبِ أن يقوموا بهذه الوصيَّة.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءُهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحُقْقُ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [٢٩]
 ولما جاءَهُمُ الْحُقْقُ قَالُوا هَذَا
 سُحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَفِرُونَ [٣٠]
 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِئَاتِينَ عَظِيمٍ [٣١]
 أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنَحْنُ قَسَمَنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
 دَرَجَاتٍ لِتَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ [٣٢]
 وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ
 النَّاسُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَاجِزَ عَلَيْهَا
 يَظْهَرُونَ [٣٣]
 وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُّا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ [٣٤]
 وَرُخْرُقًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعْ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ [٣٥]

التفسير:

- ٢٩ - ٣٢ - ولم يُحقق المشركون من قومك - أيُّها الرسول - وصيَّة إبراهيم، ولم أُعَجِّلْ لهم العقوبة، بل مَتَّعْتهم هم وآباءِهم بالنعم، حتى جاءهم

القرآن ورسول مُوَضِّحٌ لهم طريق الهدایة بالمعجزات العظيمة، فبین كلَّ ما تحتاج إليه الأُمَّة من خير فتفعله، ومن شرٌّ فتتركه، ولما جاءهم القرآن أنكروه، وقالوا: هذا الذي جاء به محمدٌ سحر، وليس بولي من عند الله، وإنما به مكذبون، وقالوا بسفاهة ومكر: هلا نزل هذا القرآن على رجل من كبار زعماء مكَّة أو الطائف! فأنكر الله عليهم: أهؤلاء يَقْسِمُون رحمة ربِّك - أيها الرسول - فَيَمْنَحُونَ النَّبَوَةَ مَنْ أَرَادُوا؟ لا ، نحن قَسَمْنَا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض، فجعلنا بعضهم غنياً، وبعضهم فقيراً؛ ليكون كلُّ منهم مُسَخَّراً لآخر، ويخدم بعضهم بعضاً. ورحمة ربِّك العظيمة - أيها الرسول - بإدخالهم الجنة خير مما يجتمعون من حطام الدنيا.

٣٣ - ٣٥. ولو لا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكافر في سَعَةٍ من العيش، ويصيروا ملة واحدة في الكفر، لأغدقنا على الكُفَّار ملذات الدنيا، وجعلنا لهم القصور ذات السقوف الفضية، والسلام المربيحة لارتفاعها، والأبواب الفضية، والسرور الفارهة التي يتکون عليها، وأثاثاً من الذهب. وما كل ذلك النعيم العاجل الذي نعطيه للكافر إلا شيء يُتمَّتع به في الحياة الدنيا الفانية، وأماماً نعيم الآخرة فمُدَخِّرٌ عند ربِّك للمتقين في الجنة الباقة.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - ما جاء به النبي ﷺ فهو الحق، إن كانت أخباراً فهي صدق، وإن كانت أحكاماً فهي عدل.
- ٢ - شدة عناد المكذبين للرسول ﷺ؛ إذ أعلنا إعلاناً صريحاً أنهم كافرون به.
- ٣ - إقامة الدليل الذي لا انفكاك عنه، بأنَّ كفَّار قريش لا يستطيعون قسمَ رحمة الله؛ لقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُم﴾، فهذا لا يمكنهم إنكاره.
- ٤ - في الآية (٣٢) إخبار مستقبلٍ عن الحكمة في رفع الله العباد بعضهم فوق بعض درجات، هذا غنيٌّ، وهذا فقير، وهذا قويٌّ، وهذا ضعيف؛ ليكون بعضهم سبباً لبعض في المعاش.
- ٥ - هذه المتعة الدُّنيوية ما هي إلا متعة الحياة الدنيا، وهي زائلة، فلا يتعلّق الإنسان بها.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَقَيْضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾٣٦﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ الْسَّبِيلِ وَيَحْسِبُونَ أَهْمَمُهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾٣٧﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَأْتِيَتْ بَيْنِ وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَسْرِفِينَ فِيْئَسُ الْقَرِينُنَ ﴾٣٨﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمُ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾٣٩﴿ أَفَأَنْتَ شُعْمُ الْأَصْمَأَ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾٤٠﴿ فَإِمَّا نَذَهَبَنَا إِلَيْكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُّنْتَقِمُونَ ﴾٤١﴿ أَوْ نُرِيَّنَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْدِرُونَ ﴾٤٢﴿ فَاسْتَمِسْكِ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾٤٣﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ سُتُّلُونَ ﴾٤٤﴿ وَسَعَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَهُ يُعْبُدُونَ ﴾٤٥﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِيَأْيَنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾٤٦﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِيَأْيَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾٤٧﴿ وَمَا نُرِيَّهُمْ مِنْ إِعْيَاءٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَا وَأَخْذَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرَجِعُونَ ﴾٤٨﴾



التفسير:

٣٦ - ٣٩. ومن يُعرض ويتجاهل عن القرآن وعبادة الرحمن، نجعل له شيطاناً يُغويه لا ينفك عن الوسوسة، فهو ملازم له لا يفارقه. وإن شياطين الإنس والجن لم يمنعون هؤلاء الكفار الضالين عن الهداية، فيُرِّبون لهم الغواية، ويُظْنُون أنهم على بصيرة وهدى من أمرهم، حتى إذا جاء الكافر مع قرينه يوم القيمة للحساب ندم وصاح: يا ليت بيسي وبينك مثل بعْد ما بين المشرق والمغرب، فبئس الصاحب القبيح أنت. ولن ينفعكم يوم القيمة اشتراككم في العذاب أنتم وقرناؤكم وأخْلاؤكم، فلن يواسِي بعضكم بعضاً، ولن يكون العذاب مُوزَّعاً عليكم فيخفَّف لأجل الشركة؛ لأنكم اشتراكتم في الظلم والكفر.

٤٠ - ٤١. فأنت - أيها الرسول - تُسمِّعُ الصُّمَّ عن سماع الحق، أو تهدي العُمَى عن إبصار الهدى، وتهدي منْ كان في انحراف عن الحق؟

٤١ - ٤٥. فهؤلاء لم يبق لهم إلا العذاب والنَّكال، فإن توفيقناك - أيها الرسول - قبل هلاكهم، فإننا منتقمون منهم بعدهك، أو نُرِيَّنك الذي وعدناهم

من العذاب حَقًّا، فَإِنَّ لَنَا الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ عَلَى نَصْرِكُ عَلَيْهِمْ، فَتَمَسَّكْ بِقُوَّةِ بِمَا أَمْرَكَ اللَّهُ، إِنَّكَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَشَرْفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ حَقًّا إِذَا نَزَلَ بِلُغْتِهِمْ، فَهُمْ أَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ، وَسُوفَ تُسَأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ بِهِ. وَاسْأَلْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَتَبَاعَ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَكَ: هَلْ أَذِنَ اللَّهُ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟

عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذَرْهُنَّ بِكَفَيْنَا مِنْهُمْ مُنَقَّمُونَ﴾ فقال: قال أنس: ذهب رسول الله ﷺ وبقيت النسمة، ولم يُرِيَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِي أُمَّتِهِ شَيْئًا يُكَرِّهُهُ حَتَّى مُضِيَّ، وَلَمْ يَكُنْ نَبِيُّ إِلَّا وَقَدْ رَأَى الْعِقُوبَةَ فِي أُمَّتِهِ إِلَّا نَبِيَّكُمْ ﷺ. (أخرجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ ٤٤٧/٢ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ. وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الْذَّهَبِيُّ. وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي (شَعْبُ الْإِيمَانِ ١١٨/٤ - ١١٩/٤) بِرَقْمِ ١٤١٠). وَأَخْرَجَهُ الضَّيَاءُ الْمَقْدَسِيُّ فِي (الْمُخْتَارَةِ ٦/١٠٧ - ١٠٩/٦) بِرَقْمِ ٢١٠٠ - ٢٠٩٧ مِنْ طَرِيقِ حَمِيدِ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنْسٍ بْنِهِ. وَصَحَّحَهُ مَحْقُوقُ الشَّعْبِ: رَجَالُهُ ثَقَاتٌ).

٤٦ - ٤٧ - وَقَسِّمَا لَقَدْ أَرْسَلَنَا مُوسَى ﷺ بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِنَا، وَبِالْمَعْجزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صَدْقَ رَسُولِهِ إِلَى فَرْعَوْنَ وَأَعْوَانِهِ، فَقَالَ مُوسَى: إِنِّي رَسُولُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالآيَاتِ وَالْمَعْجزَاتِ قَابِلُوهُ بِالضَّحْكِ وَالسُّخْرِيَّةِ؛ تَعَبِّرًا عَنِ إِنْكَارِهِمْ رَسُولِهِ.

٤٨ - وَمَا نُرِيَ فَرْعَوْنَ وَأَعْوَانَهِ مِنْ مَعْجَزَةٍ إِلَّا هِيَ أَعْظَمُ مَمَّا قَبْلَهَا، وَأَخْذَنَاهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ؛ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٣٦) إخبار مستقبلي عن جزاء من يُعرض عن القرآن، فلم يخف عقابه، ولم يهتد بهدايته، فإنَّ الله سيجعل له شيطاناً في الدنيا يُغويه، فهو له ملازم ومصاحب، يمنعه الحلال، ويبعثه على الحرام.

٢ - التحذير من الغفلة عن ذكر الله؛ لأنَّ الغفلة عن ذكر الله تُورث وساوس الشيطان.

٣ - تبرُّؤُ الإنسان من قرينه يوم القيمة يوم تتكشف الحقائق وتُزال الأقنعة.

٤ - تسليمة النبي ﷺ، فقد كان يحزن على ضلال قومه.

٥ - بيان غلبة قدرة الله ﷺ على كل قدرة؛ لقوله: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾.

٦ - القرآن الكريم شرف لهذه الأُمّة، وبقدر الشرف تعظم المسؤولية
 ﴿وَإِنَّهُ لِذِكْرِ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ نُسْأَلُونَ﴾ .

٧ - إقامة البَيِّنَةُ الكبُرَى على أَنَّهُ لَم يقل أحدٌ مِّنَ الرَّسُولِ السَّابِقِينَ: إِنَّ
 هُنَاكَ آلهَةٌ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ .

٨ - إِنَّ عَدَمَ قَوْلِ أَحَدٍ مِّنَ الْمَرْسِلِينَ السَّابِقِينَ بِوْجُودِ آلِهَةٍ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ لَهُوَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الْكَبُرَى عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْهِيَتِهِ .

﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمْهَتُدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
 الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنٌ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقُولُ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
 وَهَذِهِ الْأَنْهَرُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا
 يَكَادُ يُبَيِّنُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسْوَرَةً مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ
 فَأَسْتَخَفَ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ
 فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلآخِرِينَ﴾

التفسير:

٤٩ - ٥٠ - وقال فرعون وزمرته: يا أيها العالم - وكانوا يسمون السحرة
 علماء - ادع الله لنا بعهده الذي عهد إليك أن يكشف عننا العذاب، إننا
 مصدقون برسالتك. فدعا لهم، فكشف الله عنهم العذاب، وقابلوا ذلك بتنقض
 العهد.

٥١ - ٥٣ - وأعلن فرعون مُنادياً في قومه بفخر وكبر: أليس لي ملك بلاد
 مصر، وهذه أنهار النيل تجري من تحت قصورى؟ أفلأ تُبصرون عظمة
 سلطاني؟ ثم قال بسفاهة ومكر: بل أنا أفضل من موسى الذي هو ذليل لا عزة
 له، ولا يكاد يُفصح عن الكلام. فهلا ألقى على موسى ﷺ أساور من ذهب
 إن كان عظيماً، أو جاء معه الملائكة متتابعين مصاحبین له، يشهدون له
 بالرسالة .

٥٤ - ٥٦ - فاستخفَّ فرعون عقول قومه، فأغرىهم بمتع الدنيا ،

وأغواهم بالضلاله فأطاعوه، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا مُخَالِفِينَ أَمْرَ اللَّهِ، فَلَمَّا أَغْضَبُونَا بِكُفْرِهِمْ انتَقَمْنَا مِنْهُمْ عَاجِلًا، فَأَغْرَقْنَاهُمْ كُلَّهُمْ فِي الْبَحْرِ، وَجَعَلْنَاهُمْ قَدْوَةً لِلْكَافِرِينَ بَعْدَهُمْ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعَذَابِ، وَمَوْعِظَةً لِلآخَرِينَ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - بيان كذب فرعون وزمرته؛ لأنَّهُمْ وَعَدُوا أَنْ يَهْتَدُوا إِذَا كُشِفَ عَنْهُمُ الْعَذَابُ، بل أَصْرُرُوا عَلَى الْكُفْرِ.
- ٢ - بيان غرور فرعون، وسوء أدبه مع موسى عليه السلام.
- ٣ - أثبت العلماء حديثاً أن الأماكن الأثرية حيث توجد الأهرامات في مصر، كانت ذات يوم ممتلئة بالأأنهار والغابات. وهذه الحقيقة العلمية لم يتم التأكد منها إلا في منتصف عام ٢٠١٢ م في دراسة علمية استغرقت عدة سنوات.

(<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-35-47-/1265-2013-05-02-18-34-36>)

- ٤ - من عادة الطواغيت خداع أتباعهم بطلب مزيد من البراهين غير المتوفرة في تلك الحالة.
- ٥ - اتفاق الرسل على التوحيد.

﴿وَلَمَّا حَرَبَ أَبْنُ مَرِيمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَلَّا هُنَّا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا
ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِتِبْيَانِ
إِسْرَئِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءْ جَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلِكِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لِعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا
تَمْرِبُكَ بِهَا وَأَتَيْعُونَهُنَّا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصِدَّنَكُمُ الشَّيْطَنُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُؤْمِنٌ ﴿٦٢﴾
وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيْنَتِ قَالَ قَدْ حِسْنُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ فَأَنْقَوْنَ
اللهَ وَأَطِيعُونَ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ طَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَسِيرِ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَظْرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهِمْ
بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخْلَاكُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُمْقَنِينَ ﴿٦٧﴾ يَعْبَادُ لَا
خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَسْرُمُ تَحْزُنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِيَوْمِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ أَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تَحْبُرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا شَتَّهَ يَهِ
الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتَلَكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَرِكَهٌ كَثِيرٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

٥٧ - سبب النزول:

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط ،
فما أدرى أعلمها الناس ، فلم يسألوا عنها ، أم لم يفطنوا لها ، فيسألوا عنها ؟ !
ثم طرق يحدثنا ، فلما قام تلاميذنا ألا نكون سأله عندها ، فقلت : أنا لها إذا
راح غداً ، فلما راح الغد ، قلت : يا بن عباس ، ذكرت أمس أن آية من القرآن
لم يسألك عنها رجل قط ، فلا تدري أعلمها الناس ، فلم يسألوا عنها ، أم لم
يقطنوا لها ؟ فقلت : أخبرني عنها ، وعن اللاتي قرأت قبلها . قال : نعم ، إن
رسول الله صلوات الله عليه قال لقريش : **«يا معاشر قريش، إنَّه لِيَسْ أَحَدٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ فِيهِ خَيْرٌ»**
وقد علمت قريش أنَّ النصارى عبد عيسى ابن مريم ، وما تقول في
محمد ، فقالوا : يا محمد ، ألسست ترمع أن عيسى كاننبياً وعبدًا من عباد الله
صالحاً ؟ فلئن كنت صادقاً فإنَّ آلهتهم لكم تقولون . قال : فأنزل الله عز وجل :

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ أَبْنُونَ مَرِيمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. قال: قلت: ما يَصِدُّونَ؟ قال: يَضْجُونَ، ﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾، قال: هو خروج عيسى ابن مریم عليه السلام قبل يوم القيمة.

(أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ / ٣٢٩ - ٣٢٨ برقم ٢٩٢١، وصححه المحقق أحمد شاكر، وأخرجه ابن حبان (برقم ٦٨١٧) مختصراً، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢ / ٤٤٨)، وصححه السيوطي (باب النقول، ص ١٨٩).

التفسير:

ولمّا ضرب الله تعالى عيسى ابن مریم مثلاً؛ لكونه مثل آدم، خلقهما من غير أب، قابله المشركون بالصياغ والضجيج، وبافتراضهم أنَّ محمداً ي يريد أن نتخدنه إلهاً نعبده، كصنيع النصارى مع عيسى. وقالوا: آلَهُتَنَا الَّتِي نعبدُهَا خير أمِّ محمَّد فنعبدُه، ونترك آلَهُتَنَا؟ ما مَثَلُوا لَكَ هَذَا الْمَثَلُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - إِلَّا خصومة يخاصمونك بها بأنَّهم يلتمسون الخصومة بالباطل، ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالإيمان والنبؤة، وجعلنا ولادته من غير أب آيةً ودليلًا على عظمة قدرتنا لبني إسرائيل وغيرهم.

عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل» ثم تلا هذه الآية: ﴿بَلْ هُرُّ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾. (أخرجه ابن ماجه في السنن ٤٨ - المقدمة، باب اجتناب أهل البدع والجدل، وأخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديثه (الجامع الصحيح - التفسير - سورة الزخرف) وقال الألباني: حسن (صحيح ابن ماجه ١٥ / ١). وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢ / ٤٤٧ ، ٤٤٨).

٦٠ - ولو نشاء لجعلنا منكم - أَيُّهَا الْبَشَرُ - ملائكة خلفاء في الأرض بدلاً منكم.

٦١ - وإنَّ نزولَ عيسى عليه السلام قبلَ يومِ القيمة لعلامةٍ على قربِ قيامِ الساعة، فلا تُشكُّوا في ذلك، وأطْبِعُونِي فيما أُمْرُكُمْ به، هذا طريق قويٍّ إلى الجنة، ولا يمنعُكم الشيطان بغوايته من طاعتي وهدايتي. إنَّه لكم عدوٌ ظاهر العداوة.

٦٣ - **٦٤** - ولمَّا جاءَ عيسى عليه السلام بالمعجزات الباهرة إلى بني إسرائيل

قال لهم : قد جئتم بالنبوة حقاً، ولا وضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين ، فخافوا الله ، وأطاعوا أمري. إن الله تعالى هو ربّي وربّكم جميعاً، فأحْلَصُوا له العبادة وحده، هذا هو الطريق القويم إلى الجنة .

٦٥ - فاختلت الفرق المترحزة من اليهود والنصارى في شأن عيسى عليه السلام والغلو فيه ، فويل للظالمين أنفسهم بالكفر من عذاب يوم موجع يوم القيامة ، هل ينظر هؤلاء المختلفون في عيسى عليه السلام إلا الساعة أن تأتיהם فجأة وهم في غفلة عنها؟

٦٧ - **٧٣** - الأصحاب المتحابون من أجل الدنيا وشهواتها يعادى بعضهم بعضاً يوم القيامة ، إلا الذين يخافون الله تعالى بطاعته ويتحابون في الله ، فيقال لهم : يا عبادي لا خوف عليكم من عقابي ، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من الدنيا. الذين صدّقوا بأياتنا ، وكانوا مطيعين خاضعين لله ، يقال لهم : ادخلوا الجنة من أبوابها الشمانية ، أنتم وأزواجهم تنعمون فيها ، يُطاف عليهم في الجنة ب الطعام في أوعية من ذهب ، وأكواب من ذهب فيها الشراب ، وفيها لهم ما تشتهي أنفسهم ، وتلذ الأعين من أصناف النعم ، وهم فيها ما كثون أبداً ، وتلك الجنة العالية المقام التي أورثكم الله إليها بسبب ما قدمتم من الخير في الدنيا ، لكم في الجنة فاكهة متنوعة كثيرة ، من كل صنف تأكلون .

الفوائد والاستنباطات:

- ١** - نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان من علامات الساعة .
- ٢** - العرب المشركون كانوا يجادلون بالباطل ؛ ليغلبوا على الحق ، وهذا حال المشركين دائماً .
- ٣** - المسيح عليه السلام جاء بالحكمة وبيان الدين ، وحلَّ الخلاف بين بنى إسرائيل .
- ٤** - اختلف النصارى في المسيح على أقوال كثيرة ، والحق أنه عبد الله ورسوله .

﴿إِنَّ الْمُحْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَلِيلُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَرِّغُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْتُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَاهُمْ رَبُّكُلَّ يَقْضِي عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنْكُثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ حَسِنْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبِرِّمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلُنَا لَدَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

التفسير:

٧٤ - ٧٦ - إنَّ الَّذِينَ ارتكبوا الجرائم والكبائر في عذاب نار جهنَّم ماكثون، لا يُخفَف عنهم العذاب فترة، وهم فيه آيسون من رحمة الله، وما ظلمناهم بهذا العذاب ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بالكفر وفعل القبائح.

٧٧ - خاطب هؤلاء البائسون خازن جهنَّم واسمها مالك، يطلبون منه أن يقبض الله أرواحهم؛ ليتخلصوا من العذاب، فرَدَ عليهم مالك : إنَّكُم مقيمون في العذاب أبداً.

٧٨ - قسماً لقد جئناكم بالحق الثابت عن طريق الرسل ، ولكن أكثركم للحق كارهون.

٧٩ - ٨٠ - يفضح الله تعالى مكاييد الكفار : أَمْ أَحْكَمُوا كِيدَّا لِلنَّبِيِّ ﷺ فإنَّا مُحْكَمُونَ أمرنا وكيدنا لهم بدميرهم وإهلاكهم ، أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ مَا يُسْرُونَ في صدورهم ، وما يتهمسون فيما بينهم ، بل نسمع ونعلم ذلك ، ورُسُلُنَا من الملائكة الحفَّاظة يكتبون فضائلهم .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - عدل الله مطلق في الجزاء والحساب ، فلم يظلم سبحانه من في النار ، إنما هذا جزاء إجرائهم .
- ٢ - الإعراض عن الحق والاستكبار مؤبد بصاحبه إلى النار .
- ٣ - الترهيب من كتابة الملائكة؛ فإنها تُخصي كل الأعمال والأقوال في السر والعلن .
- ٤ - في الآية (٨٠) إخبار مستقبلي عن سمع الله وعلمه المطلق في

الماضي والحاضر والمستقبل فيما يُسرُّه المشركون في أنفسهم، وفيما يتناجون به بينهم، ورسل الله من الملائكة الكرام الحفظة يكتبون عليهم كلَّ ما عملوا.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾٨١﴿ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصْنُونَ ﴾٨٢﴿ فَنَذَرُوهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلْقَوْا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾٨٣﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾٨٤﴿ وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾٨٥﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾٨٦﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾٨٧﴿ وَقَيْلِهِ ﴾٨٨﴿ يَرَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾٨٩﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴾٩٠﴾

التفسير:

٨١ - ٨٣ - ٨١ - قل - أيها الرسول - للمسركين الذين يزعمون أنَّ الله ولداً: لو فُرضَ هذا فأنا أَوَّلُ العابدين له سبحانه، ولكن لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له. وهذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الواقع ولا الجواز. تنزَّه الله وتعاظم خالق السموات السبع والأرضين السبع، ربُّ العرش العظيم عمَّا يصف هؤلاء المشركون من الكذب، فدعهم يخوضوا في ضلالهم ويلعبوا في دنياهم، حتى يلقوها يوم القيمة الذي يوعدهن به لعقابهن.

٨٤ - ٨٥ - وهو الله الذي هو إله في السماء، وفي الأرض هو إله، لا معبود سواه، وهو الحكيم في تدبیر خلقه، العليم بمصالحهم، وتمجد الله تعالى، وتکاثرت خيراته، الذي له ملكوت السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما، وعنه وحده علم قيام الساعة، وإليه المصير للحساب.

٨٦ - ٨٧ - ولا يملك المعبودون من دون الله الشفاعة عند الله ولو كانوا ملائكة، لكن مَنْ شهد بالحق على بصيرة، وأقرَّ بالوحدانية لله، وعلِمَ حقيقة ما أَقَرُوا به، وشهدوا به، فإنَّه تنفع شفاعتهم عنده سبحانه باذنه لهم. وقسماً إن

سأّلت المشرّكين مَنْ خَلَقَهُمْ؟ لَيَعْتَرِفُنَّ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ حَقًّا، فَكَيْفَ يَعْدِلُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟

٨٨ - وَقَالَ النَّبِيُّ مُحَمَّدَ ﷺ مُتَضَرِّعًا إِلَى رَبِّهِ شَاكِيًّا لَهُ: إِنَّ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَوْمٌ لَا يُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِرَسُولِي.

٨٩ - فَأَجَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى: فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَدَعْهُمْ، وَقُلْ لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛ لِإِعْلَامِهِمْ بِالإِعْرَاضِ عَنْهُمْ وَتَرْكِهِمْ، فَسُوفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ. وَفِي ذَلِكَ تهديدٌ وَوَعْدٌ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الرُّدُّ على الذين يفتررون على الله الكذب بأنه اتخذ ولداً ﷺ .
- ٢ - تعليم الله تعالى لعباده المؤمنين التأدّب معه، ولا سيما إذا ذكر أنه اتخاذ ولداً، فإنه ينبغي تعظيمه بالتسبيح كما علمنا في الآية (٨٢).
- ٣ - اعتراف المشرّكين بأنَّ اللَّهَ خالقُهمْ .